مركز حمورابي

الخطاب الثاني لتنصيب الرئيس يتجاوز كونه تأكيدًا للنجاح

خطاب رونالد ريغان عام 1985 وضع أسس مقاربة جديدة في أسلوب الحوكمة

الخطاب الثاني لتنصيب الرئيس يتجاوز كونه تأكيدًا للنجاح خطاب رونالد ريغان عام 1985 وضع أسس مقاربة جديدة في أسلوب الحوكمة*

بقلم: جوليان إي. زيليزر/ أستاذ التاريخ والشؤون العامة في جامعة برينستون

تحرير: د. عمار شاهين

ترجمة: صفا مهدي عسكر

27 كانون الثاني 2025

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجـــــوز نشـــــر أي من هذه الابحـــــاث والدراســـات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

القى الرئيس المنتخب دونالد ترامب خطابه الثاني لتنصيبه، وبالرغم من أن خطاب التنصيب الثاني للرئيس الذي يُكمل فترتين رئاسيتين غالبًا ما يكون أقل إثارة من الخطاب الأول، إلا أنه لا يقل أهمية في رسم معالم الرؤية للسنوات الأربع المقبلة. وقبل أربعين عامًا ألقى رئيس جمهوري آخر فاز بإعادة انتخابه خطاب تنصيب حاسمًا ومؤثرًا، رونالد ريغان الذي يُعد أحد أعمدة الحركة المحافظة الحديثة التي برزت في السبعينيات اغتنم هذه المناسبة في صباح شتائي بارد في واشنطن لتأكيد رؤيته اليمينية المميزة للمجتمع، وهي رؤية استمرت في تشكيل السياسات الجمهورية حتى يومنا هذا، وكما حدث مع ترامب أُقيمت مراسم التنصيب داخل القاعة بسبب موجة البرد القارس.

ما إذا كان ترامب سينجح في تكرار إنجاز ريغان في ترسيخ أيديولوجية حاكمة تدوم بعد انتهاء فترة رئاسته، يبقى سؤالاً مفتوحاً ومع ذلك فإن خطاب ريغان لعام 1985، يقدم نموذجًا مهمًا لفهم كيفية استغلال القادة التحويليين لهذه الخطابات لتحقيق أهداف استراتيجية بعيدة المدى. في 21 كانون الثاني 1985، يوم خطاب التنصيب الثاني لريغان كانت واشنطن العاصمة تعاني من طقس شديد البرودة، حيث اجتاحت موجة صقيع قاسية الساحل الشرقي بأكمله.

وعلى الرغم من الظروف الجوية بدا ريغان في مزاج احتفالي بعد أن تولى الرئاسة في عام 1981، إثر فوزه على الرئيس جيمي كارتر بحملة ركزت على أجندة وطنية محافظة، أكد الناخبون في انتخابات 1984 دعمهم القوي لقيادته ورؤيته. حقق ريغان فوزًا كاسحًا على نائب الرئيس السابق والتر مونديل الذي دافع بقوة عن أجندة "الصفقة الجديدة" و"المجتمع العظيم" واعترف صراحةً في مناظرة متلفزة بنيته زيادة الضرائب، حصل ريغان على 525 صوتًا في المجمع الانتخابي بينما فاز مونديل فقط في مقاطعة كولومبيا وولايته الأم، كما نال ريغان 59% من الأصوات الشعبية وهو إنجاز نادر في السياسة الأمريكية الحديثة.

كان لإعادة انتخاب ريغان أهمية سياسية بالغة خاصةً أن فترة ولايته الأولى شهدت العديد من التحديات والخلافات، فقد واجهت إدارته معارضة شديدة من الديمقراطيين الذين احتفظوا بسيطرتهم على مجلس

* Julian E. Zelizer, A President's Second Inaugural Address Is About More Than Vindication, FOREGIN POLICY, January 20, 2025.

النواب، أمضوا أربع سنوات في انتقاد سياساته التي استهدفت تقليص شبكة الأمان الاجتماعي، كما نجحوا في منع محاولاته لخفض مزايا الضمان الاجتماعي وأحبطوا جهوده لتفكيك برامج محلية رئيسية بالرغم من تخفيضاته الضريبية للأثرياء وسياساته لإلغاء تنظيم الصناعات. علاوة على ذلك تعاون الديمقراطيون مع الحركات الشعبية لدعم مبادرة "التجميد النووي" كبديل لتصعيد ريغان في الخطاب المتشدد إبان الحرب الباردة، كما عارضوا دعمه للقوات المناهضة للشيوعية في أمريكا الوسطى، وساندوا نشر صواريخ كروز وبيرشينغ من قبل الناتو في أوروبا مما جعل فترة رئاسته الأولى مسرحًا للعديد من النزاعات السياسية والاجتماعية.

في المؤتمر الوطني للحزب الديمقراطي لعام 1984 في سان فرانسيسكو، لقي حاكم نيويورك ماريو كوومو ترحيبًا حارًا عندما رفض مزاعم ريغان بأن الأمة بأكملها تزدهر تحت قيادته، وقال كوومو "ربما يرى الرئيس مدينة براقة من شرفة البيت الأبيض أو شرفة مزرعته، حيث يبدو أن الجميع يعيشون حياة ميسورة. لكن هناك مدينة أخرى جزء آخر من تلك المدينة البراقة الجزء الذي يعجز فيه البعض عن تسديد أقساط منازلهم، ومعظم الشباب عن شراء منزل، حيث لا يستطيع الطلاب تحمل تكاليف التعليم الذي يحتاجونه ويشاهد الآباء من الطبقة الوسطى أحلامهم لأبنائهم تتلاشى". بالنسبة لكوومو، كانت الولايات المتحدة أقرب إلى "حكاية مدينتين" منها إلى "مدينة براقة على تلة".

ومع ذلك في تشرين الثاني من ذلك العام انتصرت رؤية ريغان، وكان ريغان قلقًا بشأن الاعتراف بإنجازه فبعد مؤتمر صحفي مثير للجدل، اشتكى قائلاً "تحاول الصحافة الآن إثبات أن النصر لم يكن كاسحًا، أو ربما ليس تفويضًا واضحًا".

خلال حفل التنصيب كان ريغان مصممًا على تذكير الجميع بمعنى انتصاره، ومع اقترابه من عيد ميلاده الرابع والسبعين جمع بين مسودات أعدها كُتّاب الخطابات بيغي نونان وبن هارت وتوني دولان، وذكرت نونان في مذكراتها أنها فوجئت بأن النص افتقر إلى اللغة البلاغية الطموحة المعتادة في خطاباته السابقة. ومع ذلك بدا واضحًا أن ريغان، بروح جامعة، كان عازمًا على عرض رؤيته بشكل محدد مع تجنب القضايا الأكثر إثارة للجدل في ذلك الوقت.

نظرًا لأن يوم 20 كانون الثاني صادف يوم الأحد، فقد أدى ريغان اليمين الدستورية في مراسم خاصة داخل البيت الأبيض، تحت إشراف رئيس المحكمة العليا وارن برغر. وبعد ذلك شارك ريغان في إجراء قرعة افتراضية من غرفة الخرائط بالبيت الأبيض لمباراة سوبر بول التاسعة عشرة، التي جمعت بين فريق ميامي دولفينز وسان فرانسيسكو جاينتس. لاحقًا، وردت أنباء عن نقل مراسم التنصيب إلى الداخل وإلغاء العرض بسبب الرياح الجليدية التي اجتاحت المدينة، مما رفع خطر الإصابة بقضمه الصقيع.

في يوم الاثنين، 21 كانون الثاني، أُقيمت المراسم في قاعة روتوندا داخل مبنى الكابيتول الأمريكي، بينما كانت الشوارع المحيطة مغطاة بالثلوج المتلألئة. حضر المراسم نحو 1,000 شخص، بينهم أعضاء بارزون من

الكونغرس، كان هذا أول خطاب تنصيب يُلقى داخل قاعة منذ أن فعلها الرئيس ويليام هوارد تافت قبل 76 عامًا، ولن يتكرر ذلك مرة أخرى حتى عام 2025.

بدأت المراسم الساعة 11:30 صباحًا ظهر ريغان بطلّته المعتادة مرتديًا بدلة زرقاء وربطة عنق بألوان العلم الأمريكي وقميصًا أبيض، ألقى كلماته بأسلوب عفوي دون الاعتماد على جهاز التلقين، مما أضفى طابعًا حميميًا على الخطاب. وقال ريغان بثقة "أيها المواطنون الأعزاء، أمتنا مستعدة للعظمة، يجب أن نفعل ما نعلم أنه صواب، ونفعله بكل قوتنا".

تحول الخطاب إلى دفاع قوي عن فلسفته المحافظة التي تعارض تدخل الحكومة، قدم ريغان رؤيته على أنها متجذرة في التقاليد الأمريكية، وقال "طلبنا من الحكومة أشياء ليست مؤهلة لتقديمها، نقلنا السلطة إلى الحكومة الفيدرالية بينما كانت من حق الولايات أو الحكومات المحلية أو الشعب نفسه، سمحنا للضرائب والتضخم بسرقة مكاسبنا ومدخراتنا، وشهدنا تباطؤ الآلة الصناعية العظيمة التي جعلتنا من أكثر شعوب الأرض إنتاجية، وزيادة في عدد العاطلين عن العمل".

في خطابه استرجع رونالد ريغان كيف أدركت الأمة في عام 1980، بعد عقود من هيمنة الحزب الديمقراطي أن الوقت قد حان لاستعادة "قوتنا نحو تحقيق الحرية الفردية القصوى المتماشية مع مجتمع منظم". وأكد أن الناخبين كانوا محقين في اختيارهم مستشهدًا بإنجازات ولايته الأولى، حيث قال "تم تخفيض معدلات الضرائب بشكل كبير، وانخفضت معدلات التضخم بصورة دراماتيكية، وبلغ عدد العاملين مستويات غير مسبوقة في تاريخنا".

وعند الحديث عن المستقبل وعد ريغان بأن السنوات القادمة ستشهد استعادة الأمريكيين لثقتهم وتقاليدهم التقدمية موضحًا: "سنعيش فترة أُعيدت فيها صياغة قيمنا المتمثلة في الإيمان والأسرة والعمل والجوار لتناسب العصر الحديث، سيكون اقتصادنا متحررًا بالكامل من قبضة الحكومة، وسيدعم الأمريكيون بشجاعة النضال من أجل الحرية والحكم الذاتي والمشاريع الحرة في جميع أنحاء العالم، وسنعمل على تحويل مسار التاريخ بعيدًا عن ظلامية الأنظمة الشمولية نحو شمس الحرية الدافئة".

في خطابه استشهد ريغان بقصة تاريخية عن العلاقة التي جمعت بين جون آدامز وتوماس جيفرسون، وهما خصمان سياسيان من الجيل المؤسس للولايات المتحدة، استخدم هذه القصة كدعوة للأمة لتجنب الأخطاء السابقة قائلًا "يجب ألا نكرر الأخطاء الحسنة النية التي وقعنا فيها في الماضي. علينا ألا نسيء استخدام ثقة العمال والموظفين من خلال تبديد مكاسبهم على مطالب متزايدة لجهاز حكومي متضخم، لقد انتخبتمونا في عام 1980 لإنهاء هذه السياسات الكارثية، ولا أعتقد أنكم أعدتم انتخابنا في عام 1984 لتغيير هذا المسار".

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية ركز ريغان على المسؤولية الرئيسية للحكومة الوطنية وهي ضمان الأمن الوطني، وأكد أهمية تعزيز القدرات العسكرية للولايات المتحدة لمواجهة الاتحاد السوفييتي، معلنًا عن استثمار كبير في مشروع درع صاروخي يهدف إلى "إلغاء الحاجة للأسلحة النووية".

خلال الخطاب أظهر ريغان براعته في التعامل مع المواقف المفاجئة عندما قرأ جزءًا من النص يشير إلى الوقوف على درجات مبنى الكابيتول، أدرك سريعًا أن العبارة لم تُعدل بعد تغيير مكان الحفل إلى الداخل بسبب الطقس البارد، بتلقائية وحنكة ارتجل قائلًا "كنا سنقف على الدرج لولا أن الطقس كان شديد البرودة".

على الرغم من تطرقه إلى بعض السياسات التفصيلية مثل تجميد الإنفاق كان جوهر الخطاب فلسفيًا بالدرجة الأولى، وبينما ركز خطاب تنصيبه الأول في عام 1981 على الإلهام بشعار "الحكومة ليست الحل لمشكلتنا، الحكومة هي المشكلة" تمحور هذا الخطاب حول ترسيخ الشرعية والأفكار السياسية، ساعيًا لنقش هذه القيم في هوية الحزب الجمهوري. واختُتمت المراسم بانضمام الرئيس والسيدة الأولى إلى الحضور في أداء النشيد الوطني، بينما دوّت في الأجواء أصوات 21 طلقة مدفعية كتحية عسكرية.

لاقى الخطاب إشادة واسعة من الجمهوريين بينما علق السيناتور جو بايدن على ذلك، مشيرًا إلى أنه خطاب ملهم، لكنه وصف دعوات ريغان للوحدة بين الحزبين بأنها "مجرد مظاهر شكلية"، معتبرًا ريغان "أكثر الرؤساء تحزبًا في تاريخ البلاد". بعنوان بارز "أيها المواطنون الأعزاء، أمتنا على أعتاب العظمة"، حصل خطاب ريغان على تقييم إيجابي من وسائل الإعلام وإن لم يكن في ذروته، وأشار البعض إلى أن الخطاب كان أكثر هدوءًا مقارنة بخطاباته السابقة، وربما كان ذلك بسبب الظروف والمكان الذي أُقيم فيه الحفل.

ومع ذلك كانت الرسالة واضحة وجلية، كما كتب هيدريك سميث في صحيفة نيويورك تايمز "الشعور بالإلحاح الذي ساد خطابه في 1981 تم استبداله بشعور من التبرير لما أنجزه". في خطابه الثاني بعد أن مرّت فترتان رئاسيتان بين ولايتهما عبر رئاسة جو بايدن، سيكون لدى دونالد ترامب الفرصة لتقديم خطاب يهدف إلى ترسيخ شرعيته، وهو خطاب يمكن أن يتضمن أيضًا نزعة انتقامية.

لكن من المؤكد أن وضع ترامب مختلف بشكل كبير عن ريغان فلم يفز ترامب بإعادة انتخابه بشكل مباشر فقد تعرض لهزيمة في 2020 قبل أن يعود بعد أربع سنوات لاستعادة السلطة، كان متورطًا في محاولات لقلب نتائج الانتخابات الرئاسية، وهزم نائبة الرئيس كامالا هاريس في فترة سياسية شديدة الاستقطاب حيث أصبح من الصعب حدوث انتصارات ساحقة، وأصبحت الفروق بين الفائزين ضئيلة دائمًا.

على الرغم من ذلك وفي سياق عصرنا المعقد يستطيع ترامب أن يُبرر ولسبب وجيه، أن نتائج الانتخابات في 2024 تعكس دعمًا قويًا نسبيًا من الناخبين، بما في ذلك من مناطق كانت تقليديًا تميل لصالح الديمقراطيين. ووفقًا لهذا السياق يمكن أن تستند مبادئ جمهورية(MAGA)** إلى الحمائية، وتقليص الأنظمة التنظيمية،

** جمهورية MAGA تشير إلى مجموعة من المبادئ والسياسات التي يروج لها ترامب والتي تركز على "أمريكا أولاً". تشمل هذه المبادئ تعزيز الحمائية الاقتصادية (حماية الصناعات الأمريكية من المنافسة الأجنبية)، تقليص التنظيمات الحكومية، واتباع سياسات الاقتصاد العرضي التي تركز على خفض الضرائب وتعزيز الأعمال الحرة. كما تشمل المحافظة الثقافية، ودعم الشعبوية المحافظة التي تهدف إلى تعزيز القيم الاجتماعية المحافظة والحد من تأثير العولمة.

واقتصاد جانب العرض، وهو مزيج بين "أمريكا أولًا" والنزعة الإمبريالية الجديدة، إلى جانب المحافظة الثقافية والشعبوية المحافظة. لكن السؤال يبقى: هل سيتمكن ترامب من الالتزام بهذا الإطار؟ فهو يختلف عن ريغان، وتعاطيه مع الإعلام يتسم أكثر بأسلوب الاستفزاز والنجومية الإعلامية، بدلًا من الأسلوب الهادئ لنجوم هوليوود التقليديين.

الفرصة الآن بين يديه وهو ما يثير القلق في أوساط الديمقراطيين، على الرغم من أن هذه المراسم لا تتعدى كونها خطابًا واحدًا، إلا أنها تأتي في لحظة حساسة قد تكون نقطة تحول في ترسيخ الحزب الجمهوري لنهج جديد في الحكم.